عنوان البرنامج: الدراسات الاستشرافية
الوحدة الأولى: تعريف الدراسات المستقبلية وأهميتها ووظائفها
الدرس الأول: تعاريف الدراسات المستقبلية – 1
اسم المحاضر: الدكتور خالد ميار الادريسي

تعاريف الدراسات المستقبلية – 1

إن الاهتمام بالمستقبل والتطلع إلى معرفة وإدراك وفهم ما سيأتي به، هو طبع إنساني، مرتبط بدافع الأمل في الغد أو التوجس منه[1]. والديانات السماوية رغبت في المستقبل الأخروي ورهبت منه[2]. ولذلك انغرس في الوجدان الفردي والجماعي، القلق من المستقبل أو التوق إليه. ولذلك فجميع الحضارات، اهتمت بالتنبؤ والتكهن والتنجيم وتخيل المستقبل.

ويبدو أن تمثل الحضارة الإنسانية للمستقبل، حسب بعض الباحثين[3]، قد ارتبط بثلاث منظورات؛ ففي المرحلة التي كانت فيها الديانات سائدة، نظر إلى المستقبل باعتباره أحداثا مقدرة سلفا. وفي المرحلة التي سادت فيها الوضعانية العلمية، نظر إلى المستقبل كنتيجة حتمية لأحداث مترابطة بمبدأ السببية، أما في المرحلة المعاصرة، فتسود نظرة اللايقين، بسبب تعقد الأحداث وتشابكها واستحالة الجزم بمعرفة مآلات الأحداث والأوضاع. إن صعوبة توقع مسارات الأحداث؛ أسهمت في الإقرار بعدم جدوى تلك النظرة الأحادية للأمور والقائمة على زعم مفاده أن مبدأ السببية، يؤدي حتما إلى نتيجة معينة ومتوقعة. ذلك أن منطق الاحتمالات المتعددة، يفضي إلى الاعتراف بأن مشاهد مستقبلية متعددة لحدث واحد، واردة وممكنة ومحتملة؛ بل يمكن أن تتلاقى الأحداث، لخلق أوضاع غير قابلة للتوقع.

---

1. للتوسع انظر:

Recher, Nicholas : Predicting the Future. (university of New York Press 1998).
Cazes. B. Histoire des futures (Seghers 1986).

أحمد الشنتاوي. التنبؤ بالغيب قديما وحديثا (دار المعارف، مصر، 2002).

2. انظر: هاني بن عبد الله بن محمد الجبير: من معالم المنهجية الإسلامية للدراسات المستقبلية. (كتاب البيان، الرياض، 1420هـ).
3. انظر محاضرة الباحث Philippe Durance على رابط Youtub

Philippe Durance. Libérer l'innovateur-la prospective en pratique-Matin ISIS.

ويمكن القول بأن الجهد الاستشرافي عبر التاريخ البشري، عرف سيادة ثلاث مراحل[4]:

ـ مرحلة التكهن والمرتبطة بالسحر والكهانة.

ـ مرحلة التخيل والإبداع وتصور مجتمعات مثالية.

ـ مرحلة التوقع الممنهج والخاضع لتوجيه مؤسساتي.

وتعتبر المرحلة الأخيرة هي بداية تأسيس الدراسات المستقبلية، أو المجال المعرفي الجديد والمهتم باستشراف مستقبل الدول والحضارات ومجالات الحياة، سواء كانت علوما أو أحداثا أو موارد طبيعية أو سكانا...

إن محاولة تعريف «الدراسات المستقبلية»، تصطدم بوفرة المصطلحات المتجاورة والدالة على الانشغال بالمستقبل. وهكذا يلاحظ تضارب بين المختصين والباحثين في مجال تاريخ الفكر المستقبلي، في اختيار وتحديد مصطلح جامع ومتفق عليه، حول المجهود الفكري المتوجه إلى دراسة «المستقبل».

ويبدو أن «الدراسات المستقبلية بدأت تكسب معناها العلمي والاصطلاحي في أوائل القرن العشرين، إذ اقترح العالم س. كوم جيلفات عام (1907) إطلاق إسم (ميلونتولوجيا) (mellontologie)، وكان أول من توصل إلى اصطلاح دراسة المستقبل هو المؤرخ الألماني «أوسبيب فلنختاهيم» عام 1930، تحت اسم Futurology وهو الاسم الشائع للدراسة المستقبلية في اللغة الانجليزي، ويقابله المصطلح الفرنسي prospective للعالم « جاستون بيرجيه» ويطلق عليها أحيانا اسم (a Future Studies)»[5].

وهناك مجموعة أخرى من المفاهيم الدالة على البحث في مجال المستقبل[6]، ومن ذلك مفهوم المستقبلية Futurism وبحث الأمور المستقبلية) Futures research ودراسات المستقبل والريادات المستقبلية (Futuristics) والتكهنات (prognostics) والمستقبلات Futuribles ودراسات البصيرة (Foresight Studies) والتحركات المستقبلية Futures (Movements) والتنبؤ المشروط

4. انظر تاريخ البحث المستقبلي في كتاب: Wendell
Wendell. B :Fondations of Futures Studies. (V1, Transaction Publishers, FIFth printing 2009) pp 1- 73.
والكاتب يشير إلى كون الاهتمام بالمستقبل ومحاولة إدراكه تطور لدى شعوب العالم، وارتبط ذلك بفهمهم وتمثلهم للزمن.
والكتاب في غاية الأهمية لفهم تاريخ ومنطلقات وأسس وفرضيات وتوجهات المهتمين بالدراسات المستقبلية.

5. رحيم الساعدي: المستقبل في الفكر اليوناني والإسلامي (الجزء الأول دار الفراهيدي الطبعة الأولى 2011) ص: 17.

6. انظر: ضياء الدين زاهر: مقدمة الدراسات المستقبلية (مركز الكتاب للنشر، القاهرة الطبعة الرابعة 2004) ص: 49.
ويرجع الباحث الاختلاف في الاصطلاح إلى الاختلاف في النشأة التاريخية والايديولوجية لتلك الدراسات التي اهتمت بالبحث في مجال المستقبل. وللتوسع في فهم الاختلاف بين هذه المفاهيم انظر مقالة سردار في الموضوع:
Zianddin Zardar : « The Namesake : Futures ; futures Studies ; Futurologie ; Futuristic ; Foresight- What's in a name?" Futures 42 (2010) 177 - 184.

(Forecasting) وغيرها من المصطلحات. والذي تم الاتفاق عليه واستعمل بكثرة، هو مصطلح «الدراسات المستقبلية»، ويليه مصطلح بحوث المستقبل.

وقد اعتمدت السكرتارية الحكومية في السويد سنة 1973 مصطلح «الدراسات المستقبلية» رافضة بذلك مصطلح «علم المستقبل» على اعتبار أن الدراسات تحتضن رؤى متعددة ومناهج مختلفة من كافة التخصصات والحقول المعرفية[7].

وتقول الباحثة أمينة الجميل «ومما لاشك فيه أن الجمعية العالمية للدراسات المستقبلية ساعدت كثيرا في جعل مصطلح «الدراسات المستقبلية» Futures Studies الأكثر انتشارا واستخداما عالميا، وهي تعني بذلك اكتشاف ما سيحدث ومطابقته بما نرجو أن يحدث. وجاء هذا التعريف من فكرة أن العديد من الأشخاص حقيقة مهتمون بالتطورات المستقبلية للمجتمع بكل أبعاده، خلال سبعينيات القرن الماضي أشمل جون ماك هل John Mc Hale كل أنواع التفكير في الدراسات المستقبلية مثل الاستقراء والتفكير المثالي وغيرها»[8].

ويشير معجم اكسفورد إلى كون الدراسات المستقبلية هي «ذلك التكهن الممنهج للمستقبل وخاصة من منطلق الاتجاهات الحالية في المجتمع».

ونفى ادوارد كورنيش أن يكون البحث في المستقبل أو الاستشراف تكهنا بالمستقبل وإنما سعي لتحسينه. «نحن نريد استباق ظروف المستقبل الممكنة أو المتوقعة حتى تستطيع التحضير لها. نحن نريد بشكل خاص أن نعرف عن الفرص والمخاطر حتى نكون مهيئين لمواجهتها»[9]. أما السيد الأمين العام للرابطة العربية للدراسات المستقبلية، فقد اعتبر البحث في المستقبل، هو ذلك «الاجتهاد المنظم الذي يتوخى صياغة التنبؤات والتوقعات»[10].

وهناك من يعرف الدراسات المستقبلية «بأنها مجموعة من الدراسات والبحوث التي تستهدف تحديد اتجاهات الأحداث وتحليل مختلف المتغيرات التي يمكن أن تؤثر في إيجاد هذه الاتجاهات أو حركة

7. مالك عبد الله محمد المهدي: ماهية مفهوم ودلالات الدراسات المستقبلية. ورقة مقدمة لملتقى الرؤى المستقبلية العربية والشراكات الدولية الخرطوم 3 – 5 فبراير 2013 ص: 13.
8. الجميل أمينة: ماهية الدراسات المستقبلية. (سلسلة أوراق – مكتبة الاسكندرية 2011) ص: 31.
وتضيف الباحثة "ورغم انتشار استخدام مصطلح الدراسات المستقبلية إلا أن البعض أمثال داتور Dator كتبوا تحت مسمى "البدائل المستقبلية Futures alternatives نظرا لاتساع المصطلح وما يحمله من تعددية البدائل والأطروحات للمستقبل الواحد. وقد لقي هذا المصطلح رواجا كبيرا خاصة بعد عدد من الأحداث التاريخية ذات التأثير القوي مثل: أزمة النفط، والتي برهنت على أن نتائج الأبحاث المستقبلية المعتمدة والمستمدة فقط من الاستقراء غير كافية ولا تحقق النتيجة المرجوة" ص: 31.
9. ادوارد كورنيش: الاستشراف. مناهج استكشاف المستقبل – ترجمة الدكتور حسن الشريف (الدار العربية للعلوم ناشرون الطبعة الأولى 2007) ص: 26.
10. مالك عبد الله محمد المهدي، ماهية مفهوم دلالات الدراسات المستقبلية مرجع سابق ص: 15.

مسارها أو مجموعة الدراسات والبحوث التي تكشف عن المشكلات أو التي بات من المحتمل أن تظهر في المستقبل وتتنبأ بالأولويات التي يمكن أن تحددها كحلول»[11].

كما يشير ضياء الدين زاهر بأن الدراسات المستقبلية هي «تخصص علمي يهتم بصقل البيانات وتحسين العمليات التي على أساسها تتخذ القرارات والسياسات في مختلف مجالات السلوك الإنساني، مثل الأعمال التجارية والحكومية والتعليمية، والغرض من هذا التخصص مساعدة متخذي القرارات ان يختاروا بحكمة من بين المناهج البديلة المتاحة للفعل في زمن معين»[12].

ويبدو لنا بأن الدراسات المستقبلية ليست هي التنبؤ بالمستقبل، فالتنبؤ ادعاء بامتلاك صورة حقيقية يقينية لما سيقع، أو علم يقيني بالمستقبل وهذا من المحال، لأن علم الغيب، يستأثر به الحق سبحانه وتعالى. بينما الدراسات المستقبلية هي مجرد محاولات فكرية تتوسل مجموعة من المناهج الكمية والكيفية، لبناء وصياغة تصورات على تطور الأحداث وتداعياتها.

11. فاروق عبده فلية وأحمد عبد الفتاح زكي: الدراسات المستقبلية. منظور تربوي. (دار المسيرة الطبعة الأولى 2003) ص: 17.
12. ضياء الدين زاهر: مقدمة في الدراسات المستقبلية مرجع سابق ص: 51.